المحاضرة الثالثة:

البنية المورفولوجية لحكاية بقرة ليتامى:

تُعد حكاية بقرة اليتامى أكثر الحكايات الشعبية انتشاراً على مستوى القطر الجزائري، وأكثرها تداولا في المخيال الشعبي، ومع ذلك فهي تُروى بتفاصيل مختلفة من منطقة إلى أخرى، وقد اعتمدنا في دراستنا هذه على الحكاية كما تُروى في ولاية المسيلة والمناطق المجاورة لها، وهي رواية جمعتها الباحثة **مريم برباش** ضمن عمل ميداني.

برز في الحكاية دور الأم على نمطين، حيث مثلت الأم المتوفاة نمط الأم الحنون ومثلت زوجة الأب نمط الأم الحقودة والشريرة، أمّا الأب فكان دوره سلبياً جداً.

نُحاول في هذه المُقاربة تحديد البنية المورفولوجية لحكاية بقرة اليتامى، اعتمادا على الوظائف التي صنفها الباحث والمنظر الروسي **فلاديمير بروب**:

1. نأي / غياب: تظهر هذه الوظيفة في مستهل الحكاية، حيث توفيت الأم وهو متغير مهم أثّر في مجريات الحكاية وتظهر في قول الراوي: (وفجأة أخذها الموت من بينهم).

2. منع / حظر: يظهر في منع زوجة الأب الطعام عن الولدين، يقول الراوي: (وتبخل عليهما بالطعام).

3. خرق: يكون عندما يذهب الولدان ليتغذيا من البقرة، يقول الراوي: (فكان الولد وأخته يذهبان إلى بقرة تركتها أمهما يرضعان من ضرعها).

4. استطلاع: يتجلى في محاولة زوجة الأب معرفة مصدر طعام الولدين من خلال إرسال ابنتها للتجسس عليهما، يقول الراوي: (فتساءلت عن مصدر أكلهما فقالت لابنتها: تبعيهم وجيبي لي خبرهم) (فتبعت العورة الطفلين).

5. اطّلاع: يكون لما تأتي بنت زوجة الأب بخبر البقرة لأمها، يقول الراوي: (فوجدتهما يرضعان من البقرة).

6. خداع: يظهر الخداع في الحكاية في موضعين:

الموضع الأوّل: يكون لمّا تتنكر زوجة الأب بري رجالي وتذهب للسوق، وتُشير إلى الأب بذبح البقرة مصدر الرزق الوحيد لولديه، يقول الراوي: (ولبست زوجته لباسا رجاليا وقالت له: أذبح وملّح وبيع تربح).

الموضع الثاني: يتجلى في محاولة العورة أن تخدع الأمير لتأخذ مكان زوجته، يقول الراوي: (ولما رآها الأمير قال لها: واش بيه وجهك ولاّ هكذا؟ فقالت له: من ماكم، ثمّ سألها لاه شينتي هكذا، قالت له من ماكلتكم وما يسمني غير لحم لغزال، وأمرته بذبح الغزال).

7. تواطؤ عفوي: يكون بانصياع الأب لمكائد زوجته الجديدة وقبوله بما يضرّ ابنيه من الزوجة المتوفاة، وقد كان تواطؤه في موضعين:

الموضع الأوّل عندما قبل ببيع البقرة ثمّ قام بذبحها، يقول الراوي: (فأخذ الزوج البقرة إلى السوق وبدأ ينادي: اللّي يشري بقرة اليتامى).

الموضع الثاني: عندما قبل بأخذ ابنيه إلى الغابة وتركهم وحيدين فيها، يقول الراوي: (فأخذهما الأب إلى الغابة مدعياً أنّه يريد أن يحتطب، وأخذ معه القلية، ولمّا وصل إلى الغابة وضع القلية وقال لهم: راني ورّاني، نحطب كي تكملوا القلية أرواحو ليّا.

فجلس الولدان يأكلان القلية ويقولان: راه ورّاه أبّينا يحطب، ولمّا انتهيا من الأكل توجها نحو أبيهما فلم يجداه، فحزنا حزنا شديداً).

8. (1). إساءة: تظهر الإساءة فيما قامت به زوجة الأب ثلاثة مواضع كالأتي:

الموضع الأوّل: عندما كانت تطعم ابنتها العورة لحم البقرة وتعطي العظم للولدين، يقول الراوي: (فكانت تُطعم ابنتها العورة اللّحم وترمي العظم للولدين).

الموضع الثاني: عندما أحرقت عظام أم الطفلين، يقول الراوي: (فقامت بحرق عظامها).

الموضع الثالث: عندما أمرت زوجها بأخذ ولديه إلى الغابة وتركهما فيها وحيدين، يقول الراوي: (فطلبت من زوجها أن يأخذهما إلى الغابة ويتركهما).

8. (2). افتقار: ويظهر في ذهاب الأب لطلب الصدقة وهو في حالة سيئة، يقول الراوي: (مرّ بها شيخ كبير طالباً منها الطعام).

9. وساطة: تظهر الوساطة في موضعين من الحكاية:

الموضع الأوّل: يكون عندما تتعرّف البنت على أبيها، يقول الراوي(فنظرت إليه وعرفت أنّه والدها).

الموضع الثاني: يكون عند عودة الأب إلى قصر الأمير والاستفسار عن ابنته والتعريف بنفسه، يقول الراوي: (فعاد والدها، وسأل زوجها عنها فأخبره الزوج عن حقيقتها فقال له الشيخ: هاذي بنتي!، وقال لابنته بعد أن عرف حقيقتها: سأحضر لك أختك وأمك ليساعداك في أعمال المنزل).

10. بداية الفعل المضاد: ويظهر في شرب الابن الماء من الساقية عن طريق إدخال الرأس، ما أدى إلى تحوّله إلى غزال، وهو فعل قام به من تلقاء نفسه، يقول الراوي: (فنظر الولدان فوجدا ساقية، من يشرب منها ويَنقَع رأسه ليشرب يتحوّل إلى غزال، فشربت البنت وأخذت تسقي أخاها بكفها لكنه لم يرتوي، فأدخل رأسه ليشرب فتحوّل إلى غزال، ومن تلك اللّحظة صار يرعى مع الغزلان ليعود إلى أخته وهي على الشجرة ليلاً).

11. انطلاق: يظهر في موضعين:

الموضع الأول: عندما أخذ الأب الولدين إلى الغابة فأصبحت موطنهما، يقول الراوي: (ولمّا وصلا إلى الغابة وضع لهما القيلة).

الموضع الثاني: عندما طلب الأمير الزواج، فوافقت وذهبت معه، يقول الراوي: (فقبلت به بشرط أن يعيش معها أخوها الغزال فتزوجا وعاشا في سعادة).

12. اختبار: يظهر في طلب العجوز الستّوت من الفتاة أن تساعدها في ترتيب الأشياء وكان ذلك بإيعاز من الأمير، يقول الراوي: (فقامت الستّوت بإحضار قدر وجفن وكلب وحصان وأخذتهم تحت الشجرة، فأقلبت القدر على فمه، وأقلبت الجفن كذلك وربطت الكلب من رجله والحصان من رقبته..... فقالت ستّوت: معرفتش يا ابنيتي أرواحي ورّيلي).

13. بداية رد فعل البطل: ويظهر في نزول الفتاة من أعلى الشجرة، ويمسك بها الأمير وهو تحوّل مهم في مجريات الحكاية، يقول الراوي: (فنزلت الفتاة من أعلى الشجرة، فخرج الأمير وأمسك بها وطلب منها الزواج، فقبلت به بشرط أن يعيش معها أخوها الغزال، فتزوجا وعاشا في سعادة).

14. صراع: يظهر في دفع البنت العورة الفتاة في البئر، ومحاولة قتلها، يقول الراوي: (وفي يوم من الأيام وهما تتجولان في الحديقة بالقرب من البئر دفعت العورة بأختها أسفله وهي حامل في شهرها التاسع، فوضعت طفلين وقد كان قاع البئر فيه حية لها سبعة رؤوس تريد أن تأكل الطفلين).

15. انتصار: يتجلى في عودة الفتاة إلى زوجها ومعاقبة العورة، يقول الراوي: (وعاشت الفتاة والأمير).

16. تقويم الإساءة: تظهر في تقديم الفتاة الخبر لأبيها بعد أن عرفته وأشفقت على حاله، وقد وضعت داخل الذهب والفضة حتى يُحسّن حاله، يقول الراوي: (فأحضرت له خبزاً بداخله ذهب وفضة وقالت له ما تكل حتى تروح للدّار).

17. مطاردة: تظهر في موضعين من الحكاية:

الموضع الأوّل: تظهر في طلب الزوجة من الزوج أن يعرف خبر ابنته بعد أن أعطته خبزا فيه ذهب وفضة، يقول الراوي: (ولما وصل إلى البيت وجد بداخله ما وجد فقالت له زوجته: ما تكون غير بنتك، ولّي ليها وأعرف اخبرها).

الموضع الثاني: تظهر في إحضار الأب لزوجته وابنتها لتعيشا مع الفتاة، وهما تضمران لها الشّر، وترغبان في أذيتها، يقول الراوي: (ذهب الأب وأتى بزوجته وابنتها العورة اللّتان أصبحتا أكثر حقدا وكرها لها لما رأياه من الرفاهية في عيشها، وأوصت الأم بنتها العورة أن تقتل الفتاة وتحل محلها).

18. النجدة: وتكون بإنقاذ الأمير زوجته من البئر، يقول الراوي: (فهرول الأمير لإخراج زوجته من البئر).

19. مطالب كاذبة: تظهر في محاولة البنت العورة تقمص دور أختها بعد أن ألقت بها في قاع البئر، يقول الراوي: (ونصّبت العورة نفسها مكان الفتاة).

20. التعرف على البطل الحقيقي: يكون ذلك عندما يسمع شيخ حديث الزوجة الفعليّة مع أخيها، ليسرع ويُخبر ا أمير بالحقيقة، يقول الراوي: (ولما سمع الغزال بذلك أسرع إلى البئر

وأخذ يقول لأخته: لّماس مضات ولبرم غلات فقالت له: راني جبت حسن والحسين والطّامة رايحة تاكلهم، فسمعها شيخ فأسرع إلى الأمير وأخبره بذلك).

21. اكتشاف البطل المزيف: يظهر في اكتشاف زيف البنت العورة، يقول الراوي: (وفهم منها حقيقة العورة).

22. عقاب: يكون بعقاب الأمير للعورة وأمّها، ويظهر في موضعين:

الموضع الأوّل: عندما قطع رأس العورة جزاء لها، يقول الراوي: (فقام بتقطيعها ووضع رأسها في قفة وأرسلها لأمها).

الموضع الثاني: يكون في موت زوجة الأب بالحسرة، يقول الراوي: (وما إن فتحت القفة حتى وجدت رأس ابنتها فماتت حسرة عليها).

23. مكافأة: وهي النهاية السعيدة التي اختتمت بها الحكاية، يقول الراوي: (وعاشت الفتاة والأمير مع ولديهما في سعادة وفّكّ سحر أخيها وعاد إلى طبيعته).

من خلال تحليل حكاية بقرة اليتامى لا حضنا غياب ثمانية وظائف هي على التوالي كالأتي: الوصول خفية، مهمّة صعبة، إنجاز المهمّة، تجلي، استلام الأداة السحريّة، انتقال أو إرشاد، علامة، العودة، ما يُظهر لنا أنّ أغلبة الوظائف التي حددها **بروب** تجلت في هذه الحكاية، حيث وجدنا ثلاثة وعشرون وظيفة.

إنّ تجلي وظائف **بروب** في هذه الحكاية الشعبية وفي حكايات أخرى من الأدب الشعبي الجزائري، يؤكد عالمية الحكايات الشعبية، وتشابه بنياتها المرفولوجية، ويؤكد تعالق الموروث الشعبي الإنساني وتداخله، مع محافظة كلّ قطر على خصوصياته الفكرية والثقافية بما يتناسب و بيئته وتجاربه.